Coptology

الإرتداد عن المسيحية الأرثوذكسية – ٤

إنكار الكنيسة جسد المسيح

دكتور

جورج حبيب باوي

٢٠١٦

www.coptology.org

لا أدري متى يتمكن المجمع المقدس من ردع الأنبا بيشوي. يظن عن جهل أن لكنيسة مصر العريقة تراثٌ لاهوتي يختلف عن تراث الكنيسة البيزنطية بكل فروعها اليوناني – الروسي – العربي ... الخ بالرغم من أنه يأخذ التمييز بين الجوهر والنعمة عن غريغوريوس بالاماس!!!

الحقيقة الكبرى هي أنه لا يوجد مجمع مصري – اسكندري أصدر حرماً على الأسماء العظيمة مثل مكسيموس المعترف، غير المعروف بالمرة في المصادر العربية والقبطية. بينما يذكر سنكسار عيد صعود جسد القديسة مريم يوحنا الدمشقي باسم "القديس" يوحنا الدمشقي!!!

ما الذي يزعج نيافته؟ كتابات الأب كونيارس التي نُشرت بالعربية. والشبح الذي يطارد نيافته، وهو ما أطلق عليه هو: "بدعة تأليه الإنسان"، وهو بذلك يكون قد حكم على أعظم بطاركة الإسكندرية أثناسيوس وكيرلس عمود الدين بأنهم "مبتدعون".

المأساة أنه لا يجد أحداً من آباء المجمع يقول له: لا، عيب، اسكت، أنت لم تدرس اللاهوت. يكفي أنك سمحت لنفسك بأن تؤكد أن المسيح صَلَبَ الشيطان على الصليب، وهي شطحة وانزلاق لا مثيل له، فقد جعل يوم الصلبوت، صلباً للرب وللشيطان معاً، وهو ما لم يرد في الأسفار، ولا عند الآباء، ولا في التعليم الكنسي.

واضحٌ أن المطران يعيش مع فكره، وهو يظن أن فكره وحده هو التعليم الرسولي.

ولذلك، وبالرغم من أن كاتب هذه السطور كان هو أول من نبَّه إلى أن فكرة الأجساد الثلاثة، هي سقطة من سقطات اللاهوت الغربي الذي أخضع الايمان للعقل وحده لا للتدبير، وقد أخذ الأنبا شنودة الثالث الفكرة الساقطة لكي يضرب بها شركتنا في الابن في الإفخارستيا **جسده المحيي**، ولكي ينكر -مستنداً إليها- أننا نشترك في الحياة الإلهية. (كتاب بدع حديثة)، فبالرغم من ذلك، مازال المطران يعود إلى هذه الفكرة، ويكتب على موقعه الرسمي إن جسد المسيح الكنيسة غير جسد المسيح في الإفخارستيا، وإن جسد المسيح في الإفخارستيا ليس هو ذات الجسد الذي أخذه من والدة الإله، وإلا فلماذا ثلاثة أجساد؟

التسليم الكنسي يؤكد في الاعتراف الأخير في القداسات القبطية أن ما يحمله الكاهن في الصينية: "هذا هو الجسد المحيي الذي أخذه من سيدتنا كلنا .. وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير". وقبل ذلك يقول الكاهن: "جسد عمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة آمين". فلم يعد لدينا جسدين، بل جسدٌ واحدٌ، ولكن تبقى في عقل المطران مشكلة الكنيسة، فهي ليست جسد المسيح، وكأن رسول المسيح بولس قد أخطأ في التعليم عندما كتب "أننا نحن أعضاء جسده وأننا جسد المسيح وأعضاؤه أفراداً" (وهو مجمل ص ١١ من ١ كورنثوس).

ليس لدى المطران، ومن قبله الأنبا شنودة الثالث، حجة لإنكار أن الكنيسة هي جسد المسيح سوى سخافات نطق بها الأنبا شنودة في لحظات غاب فيها الوعي المسيحي الحقيقي عندما قال: "إذا كانت الكنيسة هي جسد المسيح، فهل تأكل نفسها عندما تتناول الكنيسة السر المجيد؟ وعندما نقول: نسجد لجسدك المقدس، هل نحن نسجد لأنفسنا؟ وقتها صَمَتَ المطران، كما صَمَتَ أساقفة الصمت الذين غابت منهم روح الشهادة. ولكن يجب أن نرد على السخافات الشنودية من حكمة الأسفار.

فعندما قال آدم عن حواء هذه "عظم من عظامي ولحم من لحمي" (تك ٢: ٢٤)، فهل صارت حواء آدم آخر، يعني رجلاً؟ وعندما قال ذات السفر: "ويكونان جسداً واحداً" (تك ٢: ٢٤)، فهل معنى هذا أن آدم لم يعد آدم وحواء لم تعد حواء؟ وعندما أعطى الرب جسده ودمه في العلية، هل انقسم المسيح إلى جسدين، جسدٌ جالسٌ في وسط التلاميذ، وجسدٌ يُعطى للتلاميذ؟ أم أن المسيح الذي جاء لكي يبيد الانقسام لا يمكن أن ينقسم؟ ألم يجيء لكي يوحد الكل فيه نحن المتفرقين (يوحنا ١١: ٥٢)؟ وعندما نموت وندفن ونقوم مع المسيح في المعمودية (رو ٦: ١-٨)، فهل يموت الرب كل مرة يُقام فيها سر المعمودية؟

وثمة مسألة أخرى هي التي تخفَّي خلفها هذا الإنكار، وهي: انفراد هؤلاء بوصف أنهم جسد المسيح الكنيسة لكي يفعلوا، ويشرِّعوا ويقيلوا من شاءوا من الكهنة ومن الشعب. والأخطر من تلك السلطة المزعومة الفاشية، أنها حلت محل المسيح الرب نفسه.

ماذا لو لدينا ثلاثة أجساد كما يدَّعي هؤلاء؟

- عرفنا الجسد الذي أخذه ابن الله من القديسة مريم.

- عرفنا الجسد الذي يُوهب في السر المجيد، وهو ذات الجسد الذي صُلِبَ وقام بمجد الآب؛ لأن الرب قال: "هذا هو جسدي".

ولكن من أين جاء الجسد الثالث حسب ادعاء هؤلاء؟ أين ذُكِر رقم ٣ هذا في العهد الجديد؟ وما أكثر الأسئلة، ولكن ليست المشكلة هي عدم وجود الجسد الثالث، بل المشكلة هي فصله عن التجسد والإفخارستيا بتحديد أنه الجسد رقم ٣، فعندما ينفصل التجسد عن الإفخارستيا، ثم الإفخارستيا عن الكنيسة، فإن الانفصال يؤدي إلى:

١- انقطاع كل علاقة لنا مع الرب نفسه.

٢- إنكار اتحادنا بالمسيح.

٣- ضياع الكنيسة نفسها؛ إذ يصبح وجودها هو مجرد مؤسسة.

وضياع الكنيسة هنا لا يحتاج إلى تدليل، فقد أخذ الرب جسداً ببشارة الملاك وحبل القديسة مريم بالروح القدس، وسلم الربُّ الجسدَ في العلية، وقام الرب بالجسد بعد أن صُلب ودُفن. إذن، لدينا تاريخٌ واحد ليس لجسدين، بل لجسدٍ واحد؛ لأن هذا الجسد يخص المسيح الواحد. هو نفسه المولود من العذراء، وهو نفسه الذي نأخذه ونتحد به في السر المجيد.

من أين إذن جاء الجسد الثالث، وما هو تاريخه في العهد الجديد؟ الجواب الواضح أنه لا وجود لجسدٍ ثالثٍ بالمرة، غير أن تجسد الرب صار سبباً لاجتماع الجنس البشري في يسوع المسيح كما اجتمع في آدم الأول، ولذلك دُعي الربُّ آدم الثاني (١كو ص ١٥ كله، وبالذات ١٥: ٢١-٢٢). جاء الرب لكي يوحِّدنا به وحدةً أبديةً ليست كوحدة آدم الأول التي ضُربت بالموت: "في آدم يموت الجميع"، بل وحدة حياة في المسيح، ولكي يؤسِّس شعباً جديداً عوضاً عن الشعب القديم، وهو ما يعلنه القديس يعقوب في مجمع الرسل: "الله افتقد الأمم ليأخذ منهم شعباً على اسمه" (أع ١٥: ١٤). وهي دعوة الله في يسوع المسيح (أع ١٥: ١٦-١٨).

لكن كيف يتكون الشعب الجديد، وبأي شكل خارج التكوين البيولوجي المنحدر من ابراهيم أب الآباء؟ كيف تتم ولادة جديدة، والولادة الأولى الجسدانية ترد الجميع إلى آدم الأول؟ ذلك لم يفهمه لا نيقوديموس، ولا المطران، ومن قبله أستاذه الوحيد الذي يدافع عنه على حساب الإيمان. لقد جاء الرب يسوع بميلادٍ من الماء والروح، ولم يكن هذا لفردٍ أو لشخصٍ واحدٍ، بل للجنس البشري؛ لأن الجنس البشري المنحدر من آدم الأول وإبراهيم بعد ذلك، كان وحدةً واحدة سُمِّيت "بيت

اسرائيل"، ولذلك السبب يصف رسول الرب بولس كيف أحب المسيح الكنيسة، وأسلم ذاته لأجلها مؤكداً: "لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة" (أفسس ٥: ٢٦)، فهي إعادة خلق لتكون:

- مجيدة – لا دنس فيها – ولا شيخوخة (غضن)

- مقدسة بلا عيب (أفسس ٥: ٢٧).

لأن الرب صار هو آدم الثاني الذي منه جاءت الخلقة الجديدة (٢كو ٥: ١٧). وعندما يقول رسوله: "لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه"، فهو يشير إلى خلق حواء من آدم، والآن، من آدم الثاني، نحن نُخلق من المسيح، كما خُلقت حواء من آدم الأول. هكذا تكوَّن الجسد الواحد الذي منه تكوَّنت الكنيسة. ولكن، لأن المطران اعتبر العهد القديم، وليس المسيح هو أساس الحياة الجديدة، وأن الشريعة بكل تفاصيلها لا زالت سارية المفعول، بل وأن الخطية تنتقل بالوراثة، وهي أكذوبة الهرطقة المانوية التي يريد أن يلصقها بنا وبكنيسة أم الشهداء، غاب من وعيه قوة نعمة المعمودية والانتقال من آدم الأول إلى آدم الثاني، ذاك الذي فيه وبه ننال ختان العهد الجديد **ختان المسيح**، وهو حسب تعبير رسوله: "خلع جسم خطايا البشرية"، "مدفونين معه في **المعمودية التي منها** أُقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات" (كولوسي ٢: ١٠-١٢). ثم يؤكد رسول المسيح: "وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا" (كولوسي ٢: ١٣). هذا هو جسد المسيح الذي منه نولد ميلاداً سرياً سرائرياً ليس مثل الميلاد الآدمي، بل مثل ميلاد يسوع نفسه: "ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل، بل من الله" (يوحنا ١: ١٣). ولذلك، أخذنا نحن "من ملئه نعمة فوق نعمة" (يوحنا ١: ١٦)، فقد تجسد الكلمة ليكون لنا هذه الحياة.

الكنيسة جسد المسيح الواحد:

الواحد هو الوحدة، وهي وحدة مصدرها "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠: ٣٠)؛ ولذلك يطلب الرب نفسه ما هو بعيد تماماً عن القدرات الإنسانية: "أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك (شخصك) هؤلاء الذين أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن" (يوحنا ١٧: ١١). هذه الوحدة هي على مثال الوحدة بين أقانيم الثالوث. ولكن لاحظ –أيها القارئ المدقق– أنها ليست وحدة منفصلة قائمة بذاتها، إذ كيف يأتي الاتحاد "ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا" (يوحنا ٧: ٢٢)؟ هي وحدة من الآب: "احفظهم في اسمك"، توهب في الابن: "أنا ممجد فيهم" (١٧: ١٠)، وحدة محبة: "ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به"، وبذلك: "أكون أنا فيهم" (١٧: ٢٦). فالمسيحُ فينا رجاء المجد (كولوسي ٢: ٢٧)، وفي "الإنسان الباطن"، يؤكد رسول الرب: "يحل المسيح بالإيمان في قلوبكم"، وكانه كان يرى بروح النبوة تلك السخرية الشيطانية عن الكنيسة التي تأكل نفسها وتسجد لنفسها، فأضاف: "وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين. ما هو العرض (الإنسانية) والطول (السماء) والعمق (الجحيم) والعلو (الله الآب) وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله .. له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع إلى جميع أجيال الدهور" (أفسس ٣: ١٧-٢١)؛ لأن المحبة تعرف الاتحاد والتمايز (راجع تجسد الكلمة ١٦: ٣) حيث يشرح أثناسيوس أبعاد المحبة.

لقد صار المسيح هو الرأس، وبدقة بولس: "الذي منه كل الجسد يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة" (أفسس ٣: ١٦). وعاد رسول المسيح وهو يرى خطر حركة الردة نحو اليهودية وحفظ وصايا الأكل والشرب والأعياد وطلوع الهلال وحفظ السبت مؤكداً أن هذه الرباطات القديمة تؤدي إلى انتفاخ الذات القابعة في الجسد، وبالتالي تكون النتيجة: "غير متمسك بالرأس يسوع الذي منه كل الجسد .. ينمو نمواً

من الله" (كولوسي ٢: ١٦-١٩).

هل ظهر لنا الآن جسد المسيح الواحد الكنيسة؟ بكل يقين نعم لمن يريد أن يرى.

كيف استُعلِن جسد المسيح الواحد؟

أولاً: في خدمة السر المجيد: "سلاماً وبنياناً لكنيسة الله الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية". وبعد استدعاء الروح القدس الأقنوم وليس المواهب: "لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً". وما كل الصلوات: الأواشي والأنافورا وكل الطلبات والوقوف مع القوات السمائية والتسبيح مع الشاروبيم والسرافيم، ثم استعلان التدبير الذي يبدأ بالخلق ثم سقوط آدم ثم مجيء الكلمة ابن الله وتجسده وموته المحيي واستعلان هبة الحياة في العلية وسماع صوت الرب نفسه: هذا هو جسدي – هذا هو دمي، واستدعاء الروح القدس .. ماذا يكون كل هذا إلا اجتماع الأعضاء بالرأس وهو الاستعلان الدائم عند مذبح رب القوات.

ثانياً: بعد استدعاء الروح القدس: "لكي إذ طهرتنا كلنا تؤلفنا بك من جهة تناولنا من أسرارك المقدسة". وبعبارات أوضح: "ليُصَيرنا تناولنا من أسرارك المقدسة واحداً معك إلى النهاية أو إلى الانقضاء"، ثم: "لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً معك"، وماذا يمكن أن يُقال أكثر مما تُعبِّر عنه صلوات الكنيسة نفسها.

الانحدار نحو الموت الأبدي:

إذن، لو كان لنا نحن الكنيسة جسداً آخر ثالثاً غير جسد المسيح، فإلى أين يقود هذا؟

١- لصار لنا نحن طبيعة آدمية ليس لها علاقة بالثالوث، ولصارت المسيحية

رسالة أخلاقية مثل سائر الديانات الأخرى. ولبقينا غرباء عن الله، ولنا وجود لا علاقة له بالمسيح. إلى أين يقود هذا؟ ليس إلى الحياة الأبدية، بل إلى الاغتراب الأبـــدي؛ لأن الحياة التي فينا ليس لها علاقة بالابن ولا بالروح وبالتالي ليس بالآب.

٢- وكما أشرنا إلى أن المطران دمَّـــر الســـرائر المعموديـــة – المـــيرون – الإفخارستيا عندما نضع المرأة تحت شريعة موسى، وبذلك دمَّر التقديس الأبدي الذي يُوهَب في السرائر.

٣- لقد حارب المطران في عنادٍ لا مبرر له، وقاوم سكنى الروح القدس فينا، ولم يعد أي منا هو "هيكل الله"، أو "هيكل الروح القدس"، وأصبحنا هياكل لطاقةٍ أو قوةٍ، كما أننا لم يعد المسيح فينا، ولا نحن فيه، وانتهى التدبير، وضاع الاتحاد بـــالرب؛ لأننا لم نعد ملكاً للروح القدس، ولا ميراثاً للرب، ولا حتى ورثة الله (رو ٨: ١٧).

هكذا يمر سكين القطع، ليس فقط بفصل الكنيسة عن الروح القدس، فقـــد سبق أن فُصِلت عن جسد المسيح باعتبارها جسد ثالث لا نعلم من أين وكيف أتـــى، وبالتالي صار وجودنا هو وجود مؤسسة اجتماعية لا علاقة لها بالرب، سوى العلاقـــة اللفظية في الصلاة والوعظ ...

إن نتائج هذا الفصل لا تقع تحت حصر، لا نريد أن نثقل عقل وضمير القراء بها، ولكن ها قد سقط القناعُ عن وجهٍ مزيَّفٍ.

د. جورج حبيب بباوي